لعنة العهد

info@darak-egy.com
02 24832669-010 27251915
51 ب شارع النزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة.
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.

لعنة العهد
أحمد شوقي مبارك
تصميم الغلاف: أسامة علام
تدقيق لغوي: سارة صلاح
رقم الإيداع: 2019/4723
الترقيم الدولي: 978-977-6634-22-0
الطبعة الأولى: 2019

أحمد شوقي مبارك

لعنة العهد

رواية

دارك
للنشر والتوزيع

إهداء إلى..

زوجتي!

لولاكِ ماكانت!

- 0 -

سجد محمد أمام الكعبة الشريفة باكيًا متألمًا حزينًا لما حدث، أخذ يتمتم بكلمات نادمة عمَّا بدرَ منه قبل عدة شهور، كان يعتذر تارة ويطلب المغفرة تارة أخرى وقد يتطرق أحيانًا إلى وضع تفسيرات عما حدث، كان يبحث عن المغفرة في تلك الزيارة الشريفة التي دفع فيها كل ما كان يملكه من أموال زهيدة، داعبته ذكرى صرختها وهي تطلب رحمتهم، وهي تتوسل لهم ألا يقوموا بالاعتداء عليها، ولكنهم كانوا مغيبين جميعًا، تذكر شكل النيران وهي تأكل كل شيء في البيت قبل أن يهب الجميع مهرولين في ذعرٍ متداركين قبح ما فعلوه، ولكن الوقت كان قد تأخر كثيرًا وأصبحت الفتاة جثة هامدة بين أيديهم..

- لم أفعل شيئًا!، هم من فعلوا.. ارحم أرواحنا أرجوك!

رفع رأسه من موضع السجود فنزلت دمعة الندم من عينه على الأرض، رفع حدقتيه نحو السماء متضرعًا باكيًا بحدة أكثر، طالبًا السماح والسلام والرحمة، قام بالتسليم وإنهاء الصلاة وظلَّ مكانه يبكي بحُرقة وداعبته ذكرى أخرى حينما كانوا أمام الكنسية، يومها جاءه مينا يخبره فيها أن هناك مَن يتبعهم، هناك من يعلم حقيقتهم ويود الانتقام منهم.

- ذلك المجنون.. ريتشارد!، ريتشارد قتل كريم والآن يسعى خلفنا للانتقام منَّا، ريتشارد كان يحبها كثيرًا والآن لا يتطلع ولا يرى سوى الانتقام، المجنون يظن أننا

تعمدنا ذلك، يوم أن دخلنا البيت كنا نعلم أنه خالٍ تمامًا من البشر وهي مَن عادت مع أمها بصورة فجائية، حتى إنها لم تتمهل وتتركنا لنرحل، جعلت الأمر يتفاقم حتى أسقطناها جثة هامدة بين أيدينا.

اندهش محمد لما يسمعه من مينا، طالما كان يشك أن مقتل كريم -شريكهما الثالث- في تلك الجريمة غير المقصودة متعلقٌ بشكلٍ أو بآخر بذلك المجنون ريتشارد، حاول البحث عن أي كلماتٍ لقولها فشعر بطاقة غضب شديدة تعصف به وهو يحاول الابتعاد عن مينا ويشرع في المغادرة.

- هذا هو ذنبكم!، أنا لم أفعل شيئًا أبدًا.. قرار السرقة والتسلل إلى البيت كان فكرتكم، حتى القتل والاعتداء على المسكينة كان منكم، أنا لم أفعل أي شيء على الإطلاق، أنا راحلٌ لأصلي لعله يغفر لي..

أوقفه مينا ممسكًا به من ذراعيه وأخذ يعنفه قائلاً:

- لم يعد هذا مهمًا الآن، يجب أن نضع حدًّا لذلك المجنون وليرحل كلٌّ منها بعدها في طريقه، الأمر تأزم كثيرًا ولم يعد هناك أي أوقات نضيعها في تصرفات صبيانية وهروب أحمق من الأمر، يجب أن نعترف أننا تسببنا في قتل إحدى الفتيات والآن عشيقها يتتبعنا في كل مكان للانتقام، لا مجال للهروب يا محمد لا مجال للهرب أبدًا..

تساءل محمد بلسان مرتعش مذعور..

- أسنقتله هو الآخر؟!

صمت مينا عاجزًا عن الرد فصاح محمد:

- إذًا أنت تنوي قتلَه بالفعل!، ألم تكتفِ من إزهاق الأرواح وإسالة الدماء في كل مكان؟!، لن أشترك معك في ذلك الأمر مهما كانت النتائج والعواقب..

لكمَ مينا صديقه في أحد كتفيه قائلاً:

- قُلت لك كفى تصرفات صيبانية، لن أسمح لك بالهروب من الموقف كما تفعل دومًا، يجب أن نتوحد إن كنت تريد أن تنجو..

قال محمد بيأس:

- ومَن أخبرك أنني أخشى الموت؟!، ومن أخبرك أن هناك سبيلاً للنجاة؟!، مَن قتلَ يُقتَل هذا قانون الحياة ونحن قتلنا بالفعل..

- لا أتعجب من حديثك، فلا يخشى الحياة سوى يائسٍ بائس مكتئب مثلك!

- ماذا تريد مني أن أفعل؟!

شرد ذهن مينا قليلاً قبل أن يجيب..

- لا أعلم، ولكنني أعلم أن ريتشارد سيتتبعني إلى الكنسية اليوم حاول أن تكون بجانبي حتى ننهي ذلك الأمر، تذكَّر دومًا إن لم تساعدني سيتخلص ذلك المجنون منِّي وبعدها سيسعى خلفك ولن يرحمك أحدٌ من يده، حتى إن كنت لا تخشى الموت فتأكد أنه لن يدعك ترحل في سلامٍ، سيكون موتًا بطيئًا ومؤلمًا..

تلاشت الذكرى وجاءت أخرى تذكَّر فيها الصراع الذي حدثَ أمام تمثال العذراء بين مينا وريتشارد وكل منهم يهبط بقبضاته على وجه الآخر، وحينما كان الشجار في مراحله الأخيرة ويتقرب ريتشارد من وضع نهاية حاسمة لصالحه تدخَّل محمد وضرب ريتشارد بعصا على رأسه فسقط الأخير فاقدًا وعيه، لم ينقذ محمد من حصار ذكرياته سوى قدوم ذلك الغريب المتابع لبكائه وصيحات ندمه الشديدة، اقترب منه وقال محاولاً تخفيف حدة الأمر..

- لا تقلق!، سيسامحك، دومًا يفعل..

نظر محمد إلى الغريب وشرد ذهنه داخل ثنايا ذكرياته الأليمة فسقطت دمعة جديدة من عينه وهمهمَ بصوت يكاد لا يُسمع:

- ما فعلته لا يُغتفَر أبدًا.. لا يمكن أن يغتفر.

قال الرجل إلى محمد بثقة قبل أن يعود إلى مسبحته واستغراقه في التسبيح..

- لا تقلق دومًا يفعل يا أخي..

اهتز الهاتف في جيب محمد، أخرجه فكانت رسالة من رقم مجهول، قام بفتحها فوجدها لا تحتوي سوى على مقطع صوتي بعنوان: هل سمعت الشيطان يغني؟!

وضع السماعات في أذنيه وأخذ ينصت إلى المقطع الغريب، بدأت موسيقى شديدة الإبداع تنساب نحو أذنيه وأخذت السعادة تتدفق في أوردته كشلالات عاصفة بكل أحزانه، نسي كل ما كان يغضبه وصار يبتسم تدريجيًّا، تذكَّر لحظات النشوى وهو يعتدي على الفتاة قبل موتها على أيديهم، كأن عقله صار لا يعلم إلى الحزن طريقًا، أخذت تتحول الابتسامة إلى ضحكة يحاول كتمها لحرمة المكان المتواجد فيه، ولكنه يفشل فيبدأ بالضحك بصوت مرتفع صاخب، تنجذب الأنظار إليه فينظر محمد لهم عاجزًا عن تبرير حالة النشوى التي تصيبه، أزال الغريب السماعات عن أذنيه، ولكن قد فات الأوان وفعلت معزوفة الشيطان فعلتها به ووصلت هرمونات السعادة في جسده إلى مستوياتها القصوى، المستويات التي يصبح فيها المريض عاجزًا كليًا عن وصف حالته النفسية إن كانت شديدة السعادة أو شديدة الذعر، بدأ يشعر أن كل مَن حوله يتربص له، الكل يتطلع إلى قتله، يضحك وقلبه خائف، حالة ينقسم فيها بالعقل بين حالات متغيرة من المشاعر تعصف به يمينًا ويسارًا، ينهض من مكانه يبتعد عن الناس، ولكنه يجدهم في كل مكان ينظرون له، يخيل له أنَّ كل المحيطين يحملون خناجرَ قديمة تتساقط الدماء منها، ويراهم جميعًا نسخةً من ريتشارد، يهرول في المكان بحالةٍ من الجنون وكلما يحاول أحدهم التدخل لتهدئته يدفعه محمد بخوفٍ حتى يصل إلى الطابق العلوي ينظر للجميع ويعلم داخله أن لا مفر منهم سوى بالموت فبدون تردُّد يجري ناحية السور ويلقي بنفسه مودعًا الحياة ضائعًا بين حالة من النشوى والذعر.. السعادة والخوف.

***

انتحار أحد المجهولين أمام الحجر الأسود في الحرم المكي!

معزوفة الشيطان

عذرًا أيها العجوز، كلانا اصطنع العظمة!

- 1 -

نظر ريتشارد إلى الكاهن وتأمَّل تجاعيد وجهه وقلبه يعتصر ألمًا على ما حدث مؤخرًا، يفكر المسكين الضائع في صياغة كلماته القادمة، يعلم أن الأمور تأزمت كثيرًا ولم يعد هناك حلولٌ متاحة لإصلاح ما حدث، اقترب الكاهن من ريتشارد الحزين وربَّت على كتفه برفقٍ قائلاً..

- لا عليك يا بني، سيكون كل شيء على ما يرام.

شرد ذهن ريتشارد لحظات وهو يتذكر كل ما مضى وهمهمَ..

- أبونا، أنت لا تفهم أي شيء على الإطلاق..

ساد الصمت بين الطرفين، صمتٌ قطعته كلمات ريتشارد..

- أبونا، إليك اعترافي الأخير!

- حسنًا.. قُل ما لديك يا بني، لعلَّ روحك تجد السلام أخيرًا.

- سأبدأ لك من البداية.. أو قبلها، سأحكي لك كل شيء.. الحكاية بدأت حينما كنت طفلاً صغيرًا يتطلع إلى العظمة، يتطلع إلى المجد..

***

هرول ريتشارد إلى خارج بيته والفزع يتملك كل أنحاء جسده، تسارعت أنفاسه واعتصر قلبه ألمًا وغضبًا، أُغلِق الباب خلفه من تلقاء نفسه فجلس الفتى يستند إلى

الباب وهو يقترب بأذنه حتى يتابع ما يحدث بالداخل، كانت الأحداث في البيت شديدة الارتباك، صرخات وصيحات تنطلق من أمه وهي تتلقى الصفعة تلو الأخرى، تتبع أحد ثقوب الباب وأخذ يختلس النظرات نحو الداخل فوجد أباه يصفع والدته بقوة ثم أطفأ سيجارته في رقبتها والأخيرة تصرخ من الألم، لم يتحمل ريتشارد متابعة الأمر أكثر من ذلك فلم يعد ينظر نحو الاشتباك وعاد يستند إلى الحائط والدموع تنهال من عينيه، يومها اقتربت منه فتاة جميلة تصغره ببضعة أشهر، مسحت دمعته وسألته:

- ما اسمك؟!

مسح ريتشارد باقي دموعه وقال محاولاً اصطناع الثبات:

- أنا ريتشارد..

تعالت الصيحات في تلك اللحظات وسمع كلا الطفلين أصوات تهشم زجاج، فتساءلت الصغيرة:

- ما الذي يحدث في الداخل؟!

حاول ريتشارد التهرب من الإجابة ولكنه لم يجد مفرًّا، فأجابها بألم:

- إنهما أبي وأمي يتشاجران ككل ليلة.

اقتربت الصغيرة وأخذت تنظر من الثقب ذاته عمَّا يحدث في الداخل، ففزعت من المشهد وعادت تنظر إلى ريتشارد وهي تحاول بلع لعابها بصعوبة، كانت ملامح الحزن قد تلاشت من على وجه الصبي وحلت محلها تعبيرات أكثر غضبًا وقوة، فسألته الصغيرة:

- هل أنت غاضب منه؟!

نظر لها ريتشارد قائلاً:

- كم أتمنى أن يرحل ولا يعود مجددًا، كم أود أن تتساقط جميع البنايات على رأسه وأراه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة.

***

قال ريتشارد إلى الكاهن وعقله ما زال هائمًا بين ذكريات الطفولة الحزينة:

- وبعدها حدث الزلزال المدمر ولفظ أبي أنفاسه الأخيرة تحت الأنقاض.

نظر الكاهن إلى ريتشارد وقال بعدم فهمٍ:

- حسنًا؟!.. إنها صدفة بكل تأكيد.

قال ريتشارد بعصبية وصوت حادٍ:

- أنا أيضًا قُلت ذلك حينذاك، ولكن تلك الواقعة كانت فقط مجرد بداية.

***

تأزمت الحياة في قرية طاحب النائية بعد أحداث الزلزال المدمر، وعانى الكثير من أهلها في إعادة الحياة من جديد لها، مرت سنوات قليلة وتلاقى الصغير والصغيرة من جديد، يومها تهلَّل وجه ريتشارد لرؤيتها من جديدٍ وقال بصوت صاخب سعيد:

- حسبتك مُتَّ في اليوم المشئوم!

يومها شرد ذهن الفتاة لحظات وقالت:

- لا، سافرنا إلى الإسكندرية بعد الزلزال.. كانت الحياة هنا مستحيلة كما تعلم، أتمنى لا يحدث لنا ذلك من جديد، أرجوك يا ريتشارد لا تطلب منه ذلك مرة أخرى!

قال ريتشارد وهو يمسك يدها:

- أنا سعيد أنك ما زلتِ على قيد الحياة.

- ولكنك لم تطلب موتي من الله!

لم يفهمها ريتشارد حينذالك، فتساءل عن تفسير لكلماتها فأردفت:

- كأن الرب سمعك!

فهم ريتشارد أن الصغيرة تلمح أن الزلزال لم يكن سوى استجابة الله لكلمات ريتشارد الغاضبة حينما تمنى مقتل والده أسفل حطام البيوت، وكعادة المراهقين أحب الظهور بتلك الصورة الخارقة أمامها فقال بثقة:

- إنه بالفعل سمعني، مستحيل أن أتمنى لك الشر.. أنت جميلة.

قالت الفتاة في حيرة:

- ألا تندم على موت أبيك أسفل حطام البنيان كما تمنيت مؤخرًا؟!

ردَّ ريتشارد بدون أن ينظر لها:

- كيف أعترض على كلمات الله، إن لم أكن محقًا لمَ استجاب لي.

نادت الأم ابنتها، فقالت الصغيرة وهي تشرع في الرحيل:

- رحم الله والدك يا ريتشارد.. لعل روحه تجد طريقها إلى السلام.

همهمَ ريتشارد ولكنها لم تسمعه:

- لا أظن ذلك!

***

قال الكاهن معقبًا كلمات الاعتراف:

- مشاعرك تجاه والدك مخيفة!

- كنت أكرهه!

نظر الكاهن إلى ريتشارد فأضاف الأخير:

- وبالتأكيد أنت تعلم ما حدث في تلك الأرض بعد ذلك!

لم يفهم الكاهن كلمات المعترف فكاد أن يتساءل، ولكن ريتشارد أجابه:

- الساقية المهجورة!، الضحايا..

أومأ الكاهن في تفهم قائلاً:

- أنت تقصد الفتاة التي تم اختطافها وقتلها والضحايا الأربع[1]

1) المقصود أحداث رواية اعترافات كاهن، حيث قرأ ريتشارد في مذكرات إسحق يعقوب أن إحدى الفتيات رأت اختطاف الفتاة واغتصابها فشرعت بقتل كل من تورط في الأمر وحينما تم سؤالها عن الضحايا اعترفت في الحال وقالت إن الرب هو من أمرها بذلك ومنحها خاتمه العظيم.